

## السعادة : الجوهرة المفقودة

الدكتور عبد الخالق أحمدون - عضو المجلس العلمي بطنجة

بمناسبة اليوم العالمي للسعادة الذي يصادف 20 مارس من كل عام ، هذه كلمة متواضعة أهديتها:

- ✓ إلى كل من يبحث عن السعادة في خضم متاعب الحياة وبهجتها
- ✓ إلى كل من أرهقته هموم الحياة و تطلع إلى بصيص الأمل
- ✓ إلى كل من أرقت طوارق الليالي وتلمس إشراقة الصباح
- ✓ إلى كل من أثقلت فكره أسئلة الوجود و بحث عن سر الحياة
- ✓ إلى كل من عكرت صفوه ذل الغواية و تحسس عز الهداية
- ✓ إلى كل من أعبته الحيل ويروم الخلاص من العلل

### تقديم

السعادة كلمة جميلة محبوبة معشوقة ، تلوكها الألسن ولا تكاد تدركها العقول وتبصرها الأعين ، وتتعب النفوس والأجسام في تحقيقها فلا تكل ولا تمل ، ونجري وراء السعادة في اللحظات المؤلمة التي تأتي من دون استئذان ، ونبضات الفرح مثل نبضات الحزن ولكن الاختلاف في العزائم ، وفي نهاية المطاف نكتشف أنها سراب سنظل نجري خلفه ولا نحصله مثلما نريد ونحب.

السعادة هي شقيقة الحياة وصنوها ، فالحياة التي تخلو منها السعادة تكون رحلة ينقصها الكثير لتستقيم ويمضي الإنسان رحلته فيها باطمئنان ورضا.

أنشد أبو القاسم الشابي التونسي شاعر الخضراء (1934/1909) يقول<sup>1</sup>:

تَرْجُو السَّعَادَةَ يَا قَلْبِي وَلَوْ وُجِدَتْ \* \* فِي الْكُونِ لَمْ يَشْتَعَلْ حُزْنٌ وَلَا أَلَمٌ  
وَلَا اسْتَحَالَتْ حَيَاةُ النَّاسِ أَجْمَعُهَا \* \* وَزُلْزِلَتْ هَاتِيهِ الْأَكْوَانُ وَالنُّظْمُ  
فَمَا السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا سِوَى حُلْمٍ \* \* نَاءٍ تُضْحِي لَهُ أَيَّامَهَا الْأُمَّمُ  
نَاجَتْ بِهِ النَّاسَ أَوْهَامٌ مُعْرِبَةٌ \* \* لَمَّا تَعَشَّتْهُمُ الْأَحْلَامُ وَالظُّمُ  
فَهَبَّ كُلُّ يُنَادِيهِ وَيُنْشُدُهُ \* \* كَأَنَّمَا النَّاسُ مَا نَامُوا وَلَا حَلُمُوا  
خُذِ الْحَيَاةَ كَمَا جَاءَتْكَ مَبْتَسِمًا \* \* فِي كَفِّهَا الْغَارُ أَوْ فِي كَفِّهَا الْعَدَمُ  
وَارْقُصْ عَلَى الْوَرْدِ وَالْأَشْوَاكِ مَتَّبِدًا \* \* غَنَّتْ لَكَ الطَّيْرُ أَوْ غَنَّتْ لَكَ الرَّجْمُ  
وَاعْمَلْ كَمَا تَأْمُرُ الدُّنْيَا بِهَا مَضْضٍ \* \* وَالْجَمُّ شُعُورِكَ فِيهَا إِنَّهَا صَنَمٌ  
فَمَنْ تَأَلَّمَ لَمْ تُرْحَمْ مَضَاضَتُهُ \* \* وَمَنْ تَجَلَّدَ لَمْ تَهْزَأْ بِهِ الْقِمَمُ  
هَذِي سَعَادَةٌ دُنْيَانَا فَكُنْ رَجُلًا \* \* إِنْ شِئْتَهَا أَبَدَ الْأَبَادِ يَبْتَسِمُ  
وَإِنْ أَرَدْتَ قِضَاءَ الْعَيْشِ فِي دَعَا \* \* شَعْرِيَّةٍ لَا يُعْشِي صَفْوَهَا نَدَمُ  
فَاتْرِكْ إِلَى النَّاسِ دُنْيَاهُمْ وَضَجَّتْهُمْ \* \* وَمَا بَنُوا لِنِظَامِ الْعَيْشِ أَوْ رَسَمُوا  
وَاجْعَلْ حَيَاتِكَ دَوْحًا مُزْهَرًا نَضْرًا \* \* فِي عَزَلَةِ الْغَابِ يَنْمُو ثُمَّ يَنْعَدَمُ  
وَاجْعَلْ لِيَا لِيَاكَ أَحْلَامًا مُعْرِبَةً \* \* إِنَّ الْحَيَاةَ وَمَا تَدْوِي بِهِ حُلْمُ

<sup>1</sup> أبو القاسم الشابي : الديوان ، تقديم وشرح : أحمد حسن بسج . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط4 ، 2005 . ص

وأنشدت الشاعرة العراقية المرموقة نازك صادق الملائكة (2007/1923) تقول<sup>2</sup> :

قَد بَحَثْنَا عَنِ السَّعَادَةِ لَكِنْ \* \* مَا عَثَرْنَا بِكُوخِهَا الْمَسْحُورِ

أَبَدًا نَسْأَلُ اللَّيَالِي عَنْهَا \* \* وَهِيَ سَرَّ الدُّنْيَا وَلَغَزَ الدَّهْوَرِ

طَالَمَا حَدَّثُوا فُؤَادِي عَنْهَا \* \* فِي لَيَالِي طِفُولْتِي وَصَبَايَا

طَالَمَا صَوَّرُوا لِعَيْنِي لُقْيَا \* \* هَا وَأَلْقُوا أَنْبَاءَهَا فِي رُؤَايَا

فَهِيَ أَنَا لَيْسَتْ سِوَى الْعَطْرِ وَالْأَلْو \* \* إِنْ وَالْأَغْنِيَاتِ وَالْأَضْوَاءِ

لَيْسَ تَحِيًّا إِلَّا عَلَى بَابِ قَصْرِ \* \* شَيْدَتِهِ أَيْدِي الْغِنَى وَالرِّخَاءِ

وَهِيَ أَنَا فِي الصَّوْمِ عَنِ مَتَعِ الدُّن \* \* يَا وَعِنْدَ الزَّهَادِ وَالرَّهْبَانِ

لَيْسَ تَحِيًّا إِلَّا عَلَى صَخْرِ الْمَع \* \* بِدِ بَيْنِ الدَّعَاءِ وَالْإِيمَانِ

وَهِيَ حِينًا فِي الْإِثْمِ وَالْمَتَعِ الدَّن \* \* يَا وَفِي الشَّرِّ وَالْأَذَى وَالْخِصَامِ

إن زحمة الحياة المعاصرة تخنقنا ، وتلهينا متاهة مشاغلها الكثيرة ، ودوامة همومها الصغيرة والكبيرة ، فيتسلل الحزن - بلا استئذان - ضيفاً ثقيلاً على قلوبنا المُنهكة ، ويحاصر القلق رؤوسنا المثقلة ، فيقل إحساسنا وتنعمنا بالجمال الكامن ، الذي أبدعه الله -جلّت قدرته - وأودعه في المخلوقات التي تُحيط بنا، ونشاهدها صباحاً ومساءً ، على اعتبار أن الجمال " هو مظهر أسرار الكمال في هذا العالم المادي"<sup>3</sup>.

2 نازك الملائكة : الأعمال الكاملة (ديوان نازك الملائكة) دار العودة ، بيروت ، 1997، 66/1-67

3 سيد صديق عبد الفتاح : الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء - دار الهدى ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، 1998 .

وهذا لا يصدر إلا عن أصحاب الأذواق المريضة والقلوب المنتكسة ، أولئك الذين تصدر عنهم أقوال وأفعال مشوهة غير متناسبة ولا متلائمة ، لأنهم لم يدركوا سر الجمال فيصدر عنهم ، ولم تألفه نفوسهم فيصبح غريزة من غرائزهم<sup>4</sup> .

لا تُعد هذه الظاهرة أمراً مُقلِّماً إذا كانت حالة عارضة استثنائية ومحدودة، ولكنها بلا شك تُصبح ظاهرة ضارة بالصحة النفسية والجسدية، إذا طال أمدها واعتادها أصحابها؛ لأنها تُؤلِّد الكآبة في النفس، وتخطُّ خطوط الحزن مُبعثرة على وجه الحياة.

قال بعض الحكماء : (خَلَقَ اللهُ الْقُلُوبَ مَسَاكِينَ لِلذِّكْرِ فَصَارَتْ مَسَاكِينَ لِلشَّهَوَاتِ وَلَا يَمْحُو الشَّهَوَاتِ مِنَ الْقُلُوبِ إِلَّا خَوْفٌ مُزْعِجٌ أَوْ شَوْقٌ مُفْلِقٌ)<sup>5</sup>.

حاجة الناس إلى إرواء الظمأ الروحي ملحة وضرورية في عصر الأزمات، بما يعنيه من افتقار الإنسان إلى ما يثري وجوده ، ويرسخ كينونته ، ويمنحه وقوداً لحياته ، ويشبع حاجته لمعرفة معنى لحياته ، ويكشف له عن سر الحياة ويعزز قدراته ، بالمستوى الذي يجعله قادراً على التغلب على مشكلة الوجود البشري في هذا العالم .

الظمأ الروحي يجتاح حياة كل كائن بشري ، لكون هذا الكائن يظل دائماً متعطشاً للامتلاء بالوجود، كي يتخلص من الهشاشة الروحية ، ويجعل حياته ممكنة في هذا العالم الغارق بالآلام والأوجاع ، وتكون القدرة على العيش بأقل ما يمكن من المرارات والأحزان ، ويخرج من حالة القلق إلى السكينة ، ومن اللامعنى إلى المعنى ، ومن العدمية<sup>6</sup> إلى الحقيقة.

4 نفسه 33

5 عبد الرحمن بن الجوزي : ذم الهوى، تحقيق : خالد العلمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1998 . ص 94

6 العدمية (Nihilisme) موقف فلسفي يعتبر العالم كله بما في ذلك وجود الإنسان ، عديم القيمة و خال من اي مضمون أو معنى حقيقي. فالبشر يتصارعون ، وهم يدركون جيداً أن العدم في انتظارهم ، وهذا الصراع فوق طاقتهم البشرية ، لذلك يتحول صراعهم إلى عبث لا معنى له . وأصحابها يعتقدون أن كافة القيم والأخلاق ليس لها أي أساس أو قاعدة يمكن الرجوع إليها أو القياس على أساسها. وهي غالباً ما ترتبط بالتشاؤم المفرط والشك العميق بحقيقة الوجود. والعدمي الحقيقي هو الذي لا يؤمن بأي شيء، وليس عنده أي وفاء لأي مذهب، وهو يفتقر إلى الإيمان وحس الغاية أكثر من كونه يميل إلى التهديم وإسقاط القيم والمفاهيم.

فانطلاقاً من تجاوز ميدان العقل الذي تظهر فيه الأمور بالقوة، إلى ميدان الوجدان المليء بالغرائز والشهوات حيث تظهر نزوع الذات الإنسانية إلى لذاتها ومشتياتها، وبينما يهيم الإنسان العادي في هذه الملذات الاستهلاكية البهيمية ليصل إلى نشوة الحياة والتمتع بها، يتجاوز الإنسان الحريص على الارتواء ذلك ، بعد أن يتمكن من نور اليقين ويسمو باللذة من معناها (الترابي) إلى معناها "السماوي" إذ ليس فضل الإنسان بالاستمتاع بملاذ الحياة ولكن بأعلى قيم الوجدان في الحياة الروحية الخصبة.

قال الإمام أبو حامد الغزالي في إحيائه " :إن الأحوال والمكاشفات حاضرة معك في قلبك، وإنما أنت مشغول عنها بعلائقك وشهواتك، فصار ذلك حجاباً بينك وبينها، فلا تحتاج إلا إلى أن تتكسر الشهوة، ويرفع الحجاب، فتشرق أنوار المعارف من باطن القلب، وإظهار ماء الأرض بحفر القنى أسهل وأقرب من الاسترسال إليها من مكان بعيد منخفض عنها"<sup>7</sup> .

### السعادة غاية وهدف

السعادة في الحياة هي أمل كل إنسان، لا يهم كم سيبذل من جهد من أجل أن يكون سعيداً، ويظفر بهذا الشعور الثمين. فنحن عندما نريد الوصول إلا هدف معين أو تحقيق نجاح في حياتنا فإننا في الحقيقة نبحث بذلك عن السعادة<sup>8</sup> . وهذا لا يعني رسم خطط مستقبلية طويلة المدى بكل تفاصيلها ، وإنما يعني أن تعرف بشكل عام الغاية التي تمضي إليها وما تفعله . المهم أن تبقى يقظاً بدلاً من أن تبقى نائماً ، وهو ما يطلق عليه الكاتب (تيم فريك) اسم " العيش الذكي"<sup>9</sup>.

---

راجع نانسي هيوستن : أساتذة اليأس ، النزعة العدمية في الأدب الأوروبي - ترجمة : وليد السويركي - مراجعة أحمد خريس - هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة) - ط1 ، 2012 . الفصل الثاني : من أين تأتي العدمية ؟ . ص 17 وما بعدها.

<sup>7</sup> أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، دار الخير، بيروت، 1990م ، ج4 ص 77.

<sup>8</sup> فيليب فان دان بوسش : السعادة في الفلسفة ، بحث ضمن كتاب جماعي بإشراف جلن فرانسوا دورتيي : فلسفات عصرنا ، تياراتها ، مذاهبها ، أعلامها ، وقضاياها. ترجمة : إبراهيم صحراوي ، الدار العربية للعلوم ناشرون / بيروت، منشورات الاختلاف/ الجزائر ، 2009 . ص 411-412

<sup>9</sup> ريتشارد تمبلر : قواعد الحياة (الوصفة السحرية لحياة أفضل وأكثر سعادة وأكثر نجاحاً)، ترجمة ونشر : مكتبة جرير. ط6، الرياض 2011 . ص 37

في كتابه (الحضارة ومنغصاتها)(Civilization and Discontents) يتحدث عالم النفس الشهير سيجموند فرويد (Sigmund Freud)(1856-1939) عما يبديه الناس باعتباره الغرض والهدف لحياتهم فيقول: (ما الذي يطلبه الناس من الحياة ، ويودون تحقيقه فيها ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال جلية بحيث يصعب الشك فيها. فالناس يكافحون من أجل سعادتهم ؛ إنهم يريدون أن يكونوا سعداء ، وأن يبقوا على هذا النحو)<sup>10</sup>. فنحن متى كنا في سعادة نكون قد حققنا الهدف المنشود، فالسعادة بكل بساطة هي النجاح الحقيقي.

يقول ويل باكنغهام : (أصبحت السعادة صناعة مزدهرة في حياتنا المعاصرة؛ ففي الوقت الذي يبدي فيه علماء النفس اهتماما بتصنيف الأمراض العقلية وكل ما قد يؤثر سلبا في صحة عقولنا، ويتحدثون عن أمور تتعلق بنقاط القوة في الشخصية والفضائل، وكيف يمكننا أن نهنا بالحياة الهائلة، نجدهم يكتبون اليوم عن السعادة باعتبارها مؤشرا على وضع البلاد)<sup>11</sup>.

إذا كان معنى الحياة يكمن في «الهدف» المشترك للبشر، فلا يبدو ثمة شك بشأن ماهيته. فالشيء الذي يكافح الجميع من أجل بلوغه هو السعادة . إلا أن المشكلة هي أننا أمام مصطلح تأسيسي مبهم تماما، ففكرة السعادة تبدو حيوية وفارغة على حد سواء .

إذا وضعنا في تقديرنا أن حياة الإنسان هي كفاحه ومخاطراته ومغامراته وتجاربه وكده وسعيه وتعبه في الدنيا ، ندرك بعمق ارتباط السعادة بالحياة في بعدها الزمني . فلكي تكون إنسانا لابد أن يكون لديك إحساس بنفسك ككائن بشري يتحرك في الزمان ، وأن تعي أن كل فعل تقوم به وكل إنجاز تحققه وكل هدف ترسمه وتتطلع إليه يتم في إطار زمني لحياتنا المحدودة .

وينتج عن ذلك أن مفهوم السعادة يرتبط بالبعد الزمني للحياة ، وأن السعادة ليست إلا الحياة الممتعة التي تضم النقص الإنساني ، بما نشعر به من قلق وجودي يدفعنا للبحث

---

10 نيكولاس وايت : السعادة ، موجز تاريخي ، ترجمة : سعيد توفيق، سلسلة عالم المعرفة 405، المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أكتوبر 2013 . ص 15

11 ويل باكنغهام : فكر في حياتك بعمق وانطلق نحو السعادة ، دليلك العملي لتحقيق السعادة . ترجمة : ديوان آرابيا

، قنديل للطباعة والنشر ، الإمارات العربية المتحدة 2019. ص 13

عن غايات أسمى ذي قيمة ، وإحساس مغروس فينا بأننا نعاني من النقص ولا بد من البحث عن الكمال ، عن السعادة المنشودة . فحياتنا تكسب معناها من كفاحنا لتحقيق شعورنا بالمتعة حين نقوم بأفعالنا ونحقق طموحاتنا . وتوجد دائما فرص للتفاعل بين ما هو ممتع وما هو جدير بسعينا في المسالك الوعرة التي نسلوها لتحقيق الحياة الفاضلة والتمتع والسعادة، وهذا السعي هو علامة على إنسانيتنا الحيوية<sup>12</sup>.

يقول نكولاس وايت : (إن التفسير الجيد للسعادة يجب أن يبدأ بالوعي بكثرة الأهداف وما بينها من تضارب ، ويبدو لي أن تطويرنا لمفهوم عن السعادة إنما يبدأ من هذا الوعي. والإيضاح المفصل للمفهوم ينبغي أن يجسده ، وأن يبين كيف يمكن لهذا المفهوم أن يتحقق من خلال الكثرة ، بما تنطوي عليه في باطنها من تضارب ، وهو ما يطرحه الوعي أمامنا)<sup>13</sup>.

نحن لدينا القدرة على تحقيق السعادة ببذل الجهد وبمزيد من العمل الشاق النافع المثمر الذي يزخر بالخيرات و يفيض بالبركات علينا وعلى من حولنا. فالسعادة لا تخرج إلا من رحم الألم والمعاناة والتعب<sup>14</sup> ، نستطيع أن نشعر بها وسط الإعصار والرياح العاتية وبثمن باهظ ، إذ تبتلعنا رياح الموت والنسيان في النهاية . ولن يتحقق ذلك إلا بالشروط الضرورية لوجود الجمال الخلقي وتحقيقه عبر قيم، الإيمان والخير والجمال والرحمة والطاعة التي تزيد من رفعة الحياة الإنسانية وقيمتها.

ليس من شيء أصعب على الفهم والتعريف والإحاطة مثل مفهوم (السعادة) ، لذلك كانت السعادة من المباحث الفلسفية والأخلاقية المعقدة ، كما هي قمة الأفكار الأخلاقية<sup>15</sup>.

---

12 ليزا بورتولوتي وآخرون : الفلسفة والسعادة ، ترجمة : أحمد الأنصاري ، المركز القومي للترجمة (العدد2024) ، القاهرة 2013. ص 54 و87.

13 نيكولاس وايت : السعادة ، موجز تاريخي ، ص 16

14 زكريا إبراهيم : مشكلة الحياة ، سلسلة مشكلات فلسفية 7 ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة 1971. ص56-61

15 جاكولين روس : مغامرة الفكر الأوربي ، قصة الأفكار الغربية ، ترجمة : أمل ديبو ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة) أبو ظبي 2011. ص 430. 15 فيليب فان دان بوش : السعادة في الفلسفة ، ص413

يقول فريدريك لونيوار : (ومع أن البحث عن السعادة هو ، من دون شك ، الشيء الذي يسعى إليه معظم الناس ، إلا أن من العسير الكتابة في موضوعه.. يتعلق الأمر بشكل خاص بطبيعة السعادة نفسها التي يصعب الإمساك بها كالماء والريح ، فما إن نشعر أننا قبضنا عليها حتى تفلت منا ، وكلما حاولنا الاحتفاظ بها تهرب منا. إنها تتوارى عنا حين نرجو ظهورها ، ثم تظهر من دون إنذار في لحظة لا نتوقعها فيها . كما يحدث أيضا ألا ندركها إلا في لحظة تجلي التعاسة)<sup>16</sup>. ولذلك قالوا : (إنّ السعادة إنّما هي دوما متعة المستحيل)<sup>17</sup>.

ما زال الإنسان وإلى اليوم يبحث عن السعادة فلا يجدها، ولا زال السؤال يجد في نفسه القدرة على بعث الحيرة والكآبة والحزن في أغوار هذه الذات الإنسانية. نخرا لأمانيتها الباقية وكسرا لأوهامها الكاذبة، ودفعنا لها على تلبية نشيد السعادة الذي لا ينفك عن طلب الإنسان. أين تسكن السعادة؟ متى تظهر؟ هل من سبيل لملاقاتها؟ وهل يمكن اقتناؤها؟ وكم ثمنها؟ وهل تتعلق السعادة بمدى شعورنا بالرضا عن حياتنا، أم ترتبط بالشعور بالمتعة، أم نقيسها بحياة حافلة بالإنجازات؟<sup>18</sup> . كثيرا ما تتردد هذه الأسئلة على الأسماع ويكثر تناولها بين الناس، بل صار الحديث حولها مشاع، لا سيما في هذه الآونة الحضارية التي سمّتها الإشباع بين كل الفئات الاجتماعية وفي شتى البقاع.

إنه لمن المؤسف حقا، أن ترى المادة تستغرق الأذهان، وتعبث كما تشاء بالإنسان، بل تصيره إلى قطيع يتملكه الألم والهوان، فيهلك في أسفل مستنقعها مهان إذ لا معنى هناك يبقده، ولا فكر يسعفه وينتشله من الأوهام.

### السعادة مطلب دولي

16 فريدريك لونيوار: في السعادة ، رحلة فلسفية ، ترجمة : خلدون النبواتي ، دار التنوير، تونس 2016 . ص 5-6

17 Alain Badiou : Métaphysique du Bonheur Réel, Paris, P.U.F, 2015.P :50

18 ويل باكنغهام : فكر في حياتك بعمق وانطلق نحو السعادة ، دليلك العملي لتحقيق السعادة . ص 15

لذلك أصبحت (السعادة) مطلباً دولياً ، وأصبح الحق في السعادة من مقومات التنمية المستدامة ، و جعل (قياس السعادة) معياراً لتقدم الأمم وتطورها<sup>19</sup>. وأصبح للسعادة يوم عالمي<sup>20</sup>، وأحدث لهذا الغرض المجلس العالمي للسعادة ، وهي شبكة عالمية جديدة تضم نخبة من مختصين أكاديميين رائدين في علم السعادة، ومهنيين مخضرمين في مجالات متنوعة ، في مسعى لدعم الحوار العالمي للسعادة وجودة الحياة<sup>21</sup>. يقول جيفري ديفيد

---

19 في يوليو 2011، تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم 309/65 (السعادة نحو تعريف كلي للتنمية) (Happiness : towards a holistic approach to development) داعية الدول الأعضاء لقياس سعادة شعوبها واستخدام البيانات للمساعدة في توجيه السياسات العامة. وفي 1 أبريل 2012، نُشر أول تقرير سعادة عالمي كنص أساسي للاجتماع الأممي رفيع المستوى للأمم المتحدة الذي أطلق عليه (الرفاهية والسعادة: تحديد نموذج اقتصادي جديد) (Defining a New Economic Paradigm: The Report of the High-Level Meeting on Wellbeing and Happiness)، الذي أثار الاهتمام العالمي. أوجز التقرير حالة السعادة في العالم، أسباب السعادة والتعاسة، والتأثيرات السياسية التي أبرزتها دراسات الحالة. وفي 2013، صدر تقرير السعادة العالمي الثاني، ومنذ ذلك الحين يصدر سنوياً باستثناء عام 2014. يستند التقرير بشكل أساسي على بيانات من استطلاع غالوب العالمي.

ينشر تقرير السعادة العالمي (World Happiness Report) من قبل مجموعة من الخبراء العالميين، بتكليف من الأمم المتحدة، في تخصصات الاقتصاد، علم النفس، تحاليل المسح والاحصائيات القومية، يصفون كيفية استخدام معايير الرفاه بشكل فعال لتقييم تطور الأمم، وموضوعات أخرى. ينقسم كل تقرير إلى فصول تتعمق في القضايا المتعلقة بالسعادة، بما في ذلك الأمراض العقلية، والفوائد الموضوعية للسعادة، وأهمية الأخلاق، والانعكاسات السياسية، والارتباط مع منهج منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية لتقييم الرفاه الذاتي والجهود الدولية والوطنية الأخرى.

20 في عام 2011، طرح الناشط والفيلسوف والمستشار الخاص للأمم المتحدة "جايمي ليان" فكرة تحديد يوم عالمي جديد للسعادة لإلهام الناس جميعاً حول العالم للاحتفال بالسعادة في يوم مخصص لها، وتعزيز حركة السعادة العالمية. وحددت الجمعية العامة بموجب قرارها A/RES/66/281 المؤرخ في 12 تموز/يوليو 2012، يوم 20 مارس بوصفه اليوم الدولي للسعادة ، وذلك اعترافاً منها بأهمية السعادة والرفاه بوصفهما قيمتين عالميتين مما يتطلع إليه البشر في كل أنحاء العالم، ولما لهما من أهمية في ما يتصل بمقاصد السياسة العامة. كما أنها تقر كذلك بالحاجة إلى نهج أكثر شمولاً وتساوياً ومنصفاً للنمو الاقتصادي بما يعزز التنمية المستدامة، والقضاء على الفقر، ونشر السعادة والرفاه بين كل الناس . وقد احتفل العالم يوم الجمعة 20 مارس من هذه السنة باليوم العالمي للسعادة، تحت شعار "السعادة للجميع إلى الأبد".

21 أخذت العديد من الدول على عاتقها مهمة إجراء مشاوراتٍ عامة كجزء من عملية تطوير أطر القياس المتعلقة بجودة الحياة.

ففي إيطالي مثلاً: في إطار مشروع "جودة الحياة المنصفة والمستدامة"، تم تشكيل مجموعة توجيهية حول " قياس التقدم في المجتمع الإيطالي"، وضمت المجموعة 33 ممثلاً عن رواد الأعمال، والجمعيات المهنية، ومجموعات الإرث

ساكس: (يُمَكِّنُ الحوار العالمي للسعادة في القمة العالمية للحكومات جميع الحكومات حول العالم من مناقشة أفضل الممارسات الهادفة لأن تكون السعادة على رأس أولويات جدول أعمال السياسات، والمقارنة بين هذه الممارسات. إن سعي الحكومات إلى تعزيز السعادة أمر لا يمكن الجزم به ونأمل تحقيقه، ولكن هذه المسؤولية تقع على عاتق الأكاديميين وقادة الفكر الأخلاقي في كل مكان)<sup>22</sup>.

وقد اهتم علماء النفس بتحليل السعادة وتحديد مظاهرها، ولهذا نظروا إليها من زاويتين: نفسية وجدانية، وتشمل مشاعر الأمن والطمأنينة، والارتياح والمتعة واللذة والفرح والسرور التي يشعر بها أي إنسان في مواقف السعادة، كما نظروا إلى السعادة من زاوية عقلية معرفية، وتشمل ما يدركه الإنسان بعقله من رضا وما يجده من نجاح وما يحصل عليه من مساعدة حتى تسير الأمور وفق ما يتوقع أو يريد، ولا يمكن الفصل في سلوك السعادة بين ما هو وجداني وما هو عقلي.

### مفهوم السعادة

الثقافي الإيطالي، والمجموعات النسائية، ومجموعات حماية المستهلك، وشبكات المجتمع المدني. وتهدف المجموعة إلى خلق منهجية متعددة الأبعاد لقياس جودة الحياة. بالإضافة إلى ذلك تم تأسيس هيئة علمية مكونة من 80 باحثاً وخبيراً من المعهد الإيطالي الوطني للإحصاء، والجامعات وغيرها من المؤسسات بهدف إجراء مباحثات حول هذه العملية. وعلاوة على ذلك، تم إجراء دراسة استقصائية على عينةٍ من الإيطاليين (تم إجراء مقابلات مع نحو 45,000 شخص) للاستفسار عن الأبعاد الأكثر أهمية بالنسبة لجودة الحياة. وتم دعم هذا الجهد من خلال موقع إلكتروني مخصص، ومدونة، ودراسة استقصائية على الإنترنت بهدف التشاور مع الجمهور العام حول قرارات اللجنة (نحو 2,500 مشاركة). وأخيراً.

وفي ألمانيا: أطلقت ألمانيا في عام 2015 حواراً وطنياً حول القضايا الرئيسية المهمة بالنسبة لنوعية الحياة واستمر الحوار على فترة امتدت لأكثر من ستة أشهر. وهدفت هذه العملية إلى تحديد المقاييس الممكن استخدامها لتوصيف نوعية الحياة، من خلال تحديد ما هو مهمٌ بالنسبة للناس. وكان الحوار مكوناً من عدة أشكال من المشاورات العامة: لقاءات، ودراسات استقصائية عبر الإنترنت، وبطاقات بريدية. عقد نحو 200 لقاء في أنحاء البلاد مع مشاركة أكثر من 8,000 شخص. كما دعمت منظمات ممثلة للمجتمع المدني والرابطات التجارية والنقابات العمالية هذا الحوار أيضاً. وتجاوب نحو 7.000 شخصاً مع الاستقصاءات عبر الإنترنت والبطاقات البريدية. وتم إدراج نتائج الحوار مع مشاريع الأبحاث والمقارنة الدولية في إطار مكون من 12 بعداً و 46 مؤشراً، وسيتم تحديثه بشكل منتظم.

22 جيفري ديفيد ساكس : التقرير العالمي لسياسات السعادة 2018 . المجلس العالمي للسعادة . الفصل الأول :الحوكمة الرشيدة في القرن الواحد والعشرين . ص 5/4

إن مفهوم السعادة مفهوم غير محدد، لذلك فرغم أن كل إنسان يرغب في أن يبلغ السعادة، لا أحد يستطيع أبداً أن يحدد بدقة وبشكل منسجم ما يرغب فيه وما يريده حقا. والسبب في ذلك يرجع إلى كون كل العناصر المكونة لمفهوم السعادة هي في مجموعها تجربة ذاتية ، يعني أنه يجب أن تستلهم من التجربة؛ وبالتالي فإن فكرة السعادة ضرورية، باعتبارها كلا مطلقا، وحدا أقصى من تحقيق راحة البال في الوضعية التي نحن عليها في الحاضر، وفي كل شروطنا مستقبلا. والحالة هذه ، من المستحيل بالنسبة لإنسان فان، حتى وإن كان ثاقب الفكر، وقويا جدا، أن يكون مفهوما محددًا حول ما يريده حقا من السعادة.

يقول ريتشارد تمبلر: (إن السعادة هدف مراوغ سوف تضنيك مطاردته ، إن السعادة نهاية مطاف ، بينما التعاسة تكمن في الطرف المقابل. إنها حالة على طرف نقيض يقابلها البؤس في الطرف الآخر. إن تفقدت الأوقات التي شعرت فيها بالسعادة في حياتك ، أو فكرت أنك كنت سعيدا فيها ، أستطيع أن أجزم لك أنه قد اعتراك في نفس الوقت مشاعر متطرفة أخرى مصاحبة لهذا الإحساس.. أن يكون هدفك هو السعادة ، وهو " استهداف الأعمم" ، إنه هدف لن يسعك بلوغه، لأنه ليس هناك حد نهائي أقصى)<sup>23</sup>.

مفهوم السعادة يتميز بالتغير؛ فهو يتشكل وفق متطلبات الواقع وخصوصيات الأفراد والمجتمعات، فصورة السعادة الذهنية غير مستقرة وثابتة كصورة الماء مثلا، والسعادة من أكثر المفاهيم صعوبة للضبط الاصطلاحي؛ لكونها من ضمن مجموعة المفاهيم الإنسانية الفضفاضة والواسعة، التي لديها قابلية للتوسع، وطواعية للقولبة وفق نماذج مخصوصة<sup>24</sup>.

يقول ابن مسكويه : (إن الناس مختلفون في هذه السعادة الإنسانية ، وأنها قد أشكلت عليهم إشكالا شديدا احتاج أن يتعب في الإبانة عنها وإطالة الكلام فيها. وذلك أن الفقير يرى أن السعادة العظمى في الثروة واليسار، والمريض يرى أنها في الصحة والسلامة، والخليع يرى أنها في التمكن من الشهوات كلها على اختلافها، والعاشق يرى أنها في الظفر بالمعشوق، والفاضل يرى أنها في إفاضة المعروف على المستحقين، والفيلسوف يرى أن هذه كلها إذا كانت مرتبة بحسب تقسيط العدل، أعني عند الحاجة وفي الوقت الذي يجب وكما

<sup>23</sup> ريتشارد تمبلر : قواعد الحياة (الوصفة السحرية لحياة أفضل وأكثر سعادة وأكثر نجاحا)، ص 195

<sup>24</sup> ريتشارد تمبلر : قواعد الحياة (الوصفة السحرية لحياة أفضل وأكثر سعادة وأكثر نجاحا)، ص 79

يجب وعند من يجب . فهي سعادات كلها وما كان منها يراد لشيء آخر فذلك الشيء أحق باسم السعادة)<sup>25</sup>.

وقد طرحت في هذا الصدد كثير من الأسئلة الفلسفية : كيف تظهر السعادة وكيف يتم التعبير عنها ؟ كيف تتأثر السعادة بالعلاقات الإنسانية وبالمرض وبالعوامل الثقافية ؟ هل السعادة رغبة إنسانية عامة ، أم مجرد الشعور بالرضا ، أم هي شعور مؤقت ؟ وهل ترتبط بالحياة فتوصف حياة ما بأنها سعيدة وأخرى تعيسة ؟ هل هناك علاقة بين معنى السعادة ومعنى الحياة ؟ هل ترتبط السعادة بالخير ، فتصبح الحياة الخيرة حياة سعيدة ؟ هل توصف الحياة كلها بالسعادة أو بعض لحظاتها ؟ هل تعد السعادة وهما إنسانيا يقنع الإنسان نفسه بالرغبة فيها لذاتها ، وتهرب منه حين يعيش لحظاتها ، أم أنها وسيلة لغاية أبعد منها ؟ هل تعد السعادة مفهوما قائما بذاته ، أم لا بد من المعاناة والتعاسة والألم للشعور بالسعادة؟ هل ترتبط السعادة بالظروف النفسية للفرد وبحالته الصحية أم بالظروف الخارجية والموضوعية والمجتمع والحالة الاقتصادية؟ هل السعادة الفردية حسية أم عقلية ؟ هل السعادة قناعة ذاتية داخلية أم تتأثر بالخارج والظروف الموضوعية ؟ هل تتأثر السعادة بمعارف الفرد وحكمته وخياراته في الحياة ، أم أنها هبة إلهية؟ هل التفكير في الموت أمر ضروري للإحساس بالسعادة؟.

وقد تعددت تعريفات السعادة ، وتباينت مفاهيمها ، وكثر النقاش حول طبيعتها وطرق الحصول عليها ، وأصبحت إشكالية مطروحة بحدة على بساط البحث والنظر والفكر في ميادين متعددة فلسفية ، وأخلاقية ، ونفسية ، وتربوية ، واقتصادية ، واجتماعية . ويتفق الجميع على أنها الجوهرة المفقودة التي يبحث عنها الإنسان ، وتمثل هدفه الأسمى وغايته العليا . إنه لا يوجد هدف يسعى الناس جميعاً في تحصيله إلا هدف واحد، وهو السعي لطرده الهموم عن قلوبهم ، وتحصيل ما يسمونه: السعادة. إن الهدف الذي يجب السعي إليه هو أن نكون سعداء بشكل متزايد ، عمقا ودواما ، بالقدر الذي تسمح لنا به الحياة، ولكن أي سعادة ننشدها.

---

25 أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (421هـ) : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، تحقيق: ابن الخطيب ، مكتبة الثقافة الدينية . ص 94

قال الإمام ابن حزم : (تطلبت غرضاً يَسْتَوِي النَّاسُ كلهم في استحسانه وفي طلبه فلم أجدُهُ إِلَّا وَاحِدًا وَهُوَ طرد الهم، فَلَمَّا تدبرته علمت أن النَّاسَ كلهم لم يستووا في استحسانه فَقَطْ وَلَا في طلبه فَقَطْ ، وَلَكِنْ رَأَيْتَهُمْ على اِخْتِلَافِ أهوائهم ومطالبهم وتباين هممهم وإراداتهم لَا يتحركون حَرَكَةً أصلاً إِلَّا فِيمَا يرجون به طرد الهم، وَلَا ينطقون بِكَلِمَةٍ أصلاً إِلَّا فِيمَا يعانون به إزاحته عن أنفسهم، فَمَنْ مُخْطِئٌ وَجْهَ سَبِيلِهِ، وَمَنْ مقارب للخطأ وَمَنْ مُصِيبٌ وَهُوَ الْأَقْلُ من النَّاسِ فِي الْأَقْلُ من أموره. فطرد الهم مَذْهَبٌ قد اتفقت الأُمَّمُ كلها مذ خلق الله تَعَالَى الْعَالَمَ إِلَى أَنْ يَتَنَاهَى عَالَمَ الْإِبْتِدَاءِ ويعاقبه عَالَمُ الْحِسَابِ على أَنْ لَا يعتمدوا بسعيهم شَيْئًا سِوَاهُ.. وَلَيْسَ فِي الْعَالَمِ مَذْكَانٌ إِلَى أَنْ يَتَنَاهَى أَحَدٌ يستحسن الهم وَلَا يُرِيدُ طرده عن نَفْسِهِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ فِي نَفْسِي هَذَا الْعِلْمُ الرَّفِيعُ وانكشف لي هَذَا السِّرُّ الْعَجِيبُ، وأُتِيَ اللهُ تَعَالَى لِفِكْرِي هَذَا الْكَنْزَ الْعَظِيمَ، بحثت عن سَبِيلٍ موصلة على الْحَقِيقَةِ إِلَى طرد الهم الَّذِي هُوَ الْمَطْلُوبُ لِلنَّفْسِ الَّذِي اتَّفَقَ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْإِنْسَانِ الْجَاهِلِ مِنْهُمْ وَالْعَالَمِ وَالصَّالِحِ وَالطَّالِحِ على السَّعْيِ لَهُ، فَلَمْ أَجِدْهَا إِلَّا التَّوَجُّهَ إِلَى اللَّهِ عزَّ وَجَلَّ بِالْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ)<sup>26</sup>.

فالجميع يستخدم كلمة السعادة في مختلف المناسبات الاجتماعية السعيدة، كتقديم التهاني للزوجين، مع أجمل التمنيات بحياة سعيدة ملؤها الفرح والسرور.. وجميعنا لدينا أحلام مشتركة كحلم البيت السعيد، المؤسسة السعيدة، المدينة السعيدة... ونسعى لتحقيق حلم السعادة، الذي ارتبط كثيراً بعدد من المحددات والمصادر كالجمال والثروة والجاه والصحة... فتعتبر المظاهر هي أساس الحكم في كثير من الأحيان على حياة الناس بأنها سعيدة أو غير سعيدة؛ رغم أن المظاهر في أغلب الأحيان خداعة.

ويتعد فهم السعادة أكثر في ظل القيم المادية المعاصرة التي حولت الإنسان إلى وسيلة في آلة الاستهلاك الكبرى للعالم الرأسمالي المتوحش. العالم الذي نعيش فيه اليوم، هو

<sup>26</sup> أبو محمد علي بن حزم (456هـ): الأخلاق والسير ، أو رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل ، ضمن رسائل ابن حزم ، تحقيق : إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط2 ، 1987 . ص336 .

عالم للسلع وليس عالماً للحرية، فهو عالم للاستهلاك وليس عالماً للفلسفة أو للسعادة . لأنّ عالماً من البضائع لا يمكنه أن يمنحنا غير سعادة الإشباع: إشباع رغباتنا اللامتناهية<sup>27</sup>.

إنّ ليس بوسع ركام من السلع أن يمنحنا السعادة الحقيقية، فهو عالم لا يمكنه أن ينتج غير سعادة وهمية تربط الإنسان بالمتعة والمنفعة والنشوة والشهوة، واقتصاد السوق الذي يفتح الرغبات الجسدية على مصراعيها تحت مظلة نظام عولمي خطير أثر على حياة الناس وثقافتهم وطبائعهم وسلوكهم وانفعالاتهم، باستعمال ميكانيزمات التطور التكنولوجي المذهلة في مجال الاتصال الجماهيري (البث التلفزيوني الفضائي ، المعلومات ، المعارف العلمية ، الموسيقى، البرامج التوعوية، الندوات الفكرية والسياسية والثقافية ، المؤتمرات الاقتصادية ، المسلسلات التلفزيونية ، الأفلام السينمائية والوثائقية المتنوعة.. ) وفتح المجال للحرية الاقتصادية بما تحمله من إيديولوجية رأسمالية ترسخ (دكتاتورية السوق)<sup>28</sup> واستخدام شبكات كمبيوتر من عالم الخيال الإلكتروني، نتيجة ثورة الرقمنة، تغطي الأرض وتقتحم على الناس حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بدون استئذان عبر كم هائل من المعلومات الموجهة لخدمة عائدات الأرباح ، وإدخال الحياة دائرة التجارة الحرة ، ومنطق الاستثمار الضيق، وعقلية السوق والمال والأعمال<sup>29</sup> ، في غفلة كبيرة من الناس الذين يبحثون عن السعادة ! .

وهنا نطرح السؤال : هل عالمنا الذي نعيش جميعاً تحت سقفه اليوم قادر على منح الحياة رونقاً وجمالاً وسعادة ؟ حيث تتسع الهوة بين الجسد والروح ، وتتزعزع الهويات والخصوصيات ، وتتسلع الأفكار والثقافات والعلاقات ، وتندحر القيم وتتبدل المثل ، تنتصر المادة على الفكر ، و تبدو قتامة المستقبل وبؤس العيش جاثمة على صدور كثير من البشر وعقولهم ، وتتعرض البيئة الطبيعية للدمار الممنهج . والكل أصبح يتساءل ، خاصة في هذه الظروف الصعبة التي تمر فيها البشرية بأخطر جائحة (كوفيد19) تدمر الصحة

---

27 نويل، برنار. الموجز في الإهانة. ترجمة محمد بنيس. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ط1، 2017. ص: 16-17. وراجع أبحاث مجلة الاغتراب ، محور (جناية التقنية ، الحكاية الكبرى لعالم بلا روح) المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، بيروت . العدد 15 ، السنة الرابعة 1440هـ/ ربيع 2019 .

28 هانس بيتر مارتن و هارالد شومان : فخ العولمة (الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية) ترجمة : عدنان عباس علي ، سلسلة عالم المعرفة 238، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أبريل 1998 . ص 9

29 هانس بيتر مارتن و هارالد شومان : فخ العولمة، (ملايين الضحايا قربان للسوق العالمية) ص168 وما بعدها

والعيش والاقتصاد، إلى أين يسير العالم؟ إلى أين تسير البشرية؟ لقد جفت البركة، وبانت ضفادعها !! ...

يقول جيفري ديفيد ساكس - رئيس المجلس العالمي للسعادة - (مجتمعاتنا غير منظمة وغير ملائمة لتعزيز السعادة، ويرجع اقتصاد السوق العالمية في مسألة إنتاج الثروة ولكن ليس في توزيعها بشكل عادل أو في حماية البيئة من الجشع المتوحش. لقد أسهمت العولمة في تسريع النمو الاقتصادي، ولكن في الوقت نفسه، في تدمير البيئة وتفاقم أوجه عدم المساواة)<sup>30</sup>.

لقد كشفت العولمة عن وجهها الحقيقي التي تحاول أن تخفي بشاعته بالمساحيق الكاذبة ، وأمطت اللثام عن مقاصدها وأهدافها لتشكل في مجموعها حالة استفزاز للبشرية<sup>31</sup> تساوقت مع سياسات غير حكيمة لأنظمة لم تضع إسعاد الإنسان ورفاهيته وكرامته وحرية في المقام الأول، وحمائته في مناخ عيش رغيد واستقرار وسلم وأمان<sup>32</sup>.

---

<sup>30</sup> جيفري ديفيد ساكس : التقرير العالمي لسياسات السعادة 2019 . المجلس العالمي للسعادة . الفصل الأول : مقدمة في التقرير العالمي لسياسات السعادة وجودة الحياة 2019. ص5/4

<sup>31</sup> يرى الباحث أحمد علي الحاج محمد أن مصدر نشأة العولمة أصلاً ومحور ارتكازها هو الاقتصاد، مفهوماً ومضموناً ونتائج، قبل أن تظهر وتتشكل العولمة السياسية والثقافية والاجتماعية والتربوية، على أساس أن الاقتصاد هو قاعدة بناء النظام الرأسمالي في الدول الغربية، فلسفة وأيديولوجية، نهجاً وتطبيقاً، بوصفه نموذجاً يميز حياة الحضارة الغربية، ويطبّعها بسمات دالة عليها. وهذا النظام أصبح -بحكم عوامل داخلية وخارجية- هو نمط الحياة الذي ينبغي أن يسود العالم باعتباره يمثل المرحلة النهائية لتطور المجتمعات البشرية، كما يقدمه أصحابه.

وعلى هذا الأساس، طبيعي أن تكون العولمة الاقتصادية هي رأس حربة النظام الرأسمالي لعولمة العالم. ولا مندوحة هنا أن تكون العولمة الاقتصادية هي الصورة الأكثر وضوحاً والأقوى سرعة وتحققاً في الوقت الراهن وأوضح مما هو معلوم ثقافياً وسياسياً وتربوياً.

وتطرق إلى مظاهر العولمة الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية والإعلامية في الدول العربية ومتطلباتها التربوية في الفصل الأخير من كتابه : العولمة والتربية (آفاق مستقبلية) "كتاب الأمة" 145، إدارة البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر،، رمضان 1432هـ/يوليو 2011. ص80 وما بعدها.

<sup>32</sup> يعاني أكثر من 500 مليون شخص حول العالم من اضطرابات نفسية شائعة، ولكن يعالج أقل من خمسهم ، بل وإن عدداً أقل منهم يعالجون بما يتوافق مع أفضل الممارسات. التقرير العالمي لسياسات السعادة 2018 . المجلس العالمي للسعادة . ص29/28 .

و المتتبع لأدبيات التقارير العالمية عن السعادة يمكنه أن يخرج بمفهوم عالمي لهذا المصطلح ، باعتبار السعادة : هي الهناء الذاتي ، أو تحقيق الذات<sup>33</sup> ، أو الرضا عن الحياة بجميع مكوناتها النفسية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية والصحية والتعليمية والترفيهية والبيئية، . والرضا حالة نفسية مؤقتة تعبر عن لحظة عابرة من الإشباع النفسي والجسدي ، وتحقيق ما ينقصنا، وتحيل على فكرة الحظ أو القدر المواتي، أو الفأل الحسن، أو حسن الطالع . السعادة هي إشباع لكل ميولاتنا، سواء في امتدادها و تعدديتها، أو في قوتها و درجتها (السعادة اللذية)<sup>34</sup>، أو هي معرفة الاكتفاء بالموجود (القناعة)<sup>35</sup>، أو هي : الطموح إلى المعرفة<sup>36</sup>، أو هي حسن الحال (well-being) الذي صاغه مصطفى حجازي في عبارة بسيطة (أنا بخير ، الناس بخير ، الدنيا بخير). فهو حالة الوصول إلى النمو الكامل ذهنيا ونفسيا وعاطفيا. عرف (هالبرت دون) حسن الحال بأنه : ( طريقة متكاملة من النشاط الوظيفي متوجهة نحو تعظيم الإمكانيات التي يتمتع بها الشخص ، مما يتطلب الحفاظ على مدرج مستمر من التوازن )<sup>37</sup>.

وعرف قاموس وبستر الإنجليزي السعادة بأنها : (الحظ والرخاء، وكذلك الفرح والخبرة الممتعة، وحالة الرضا والرضوان).<sup>38</sup>

وقد حاولت هذه التقارير أن ترسم فكرة عن (المدن السعيدة) باستحضار الجوانب الستة للتصميم : تخطيط المدينة، والتفاعل مع الطبيعة، والتنقل، والاستدامة، والثقافة، وجودة الخدمات، والتي تسهم في السعادة من خلال تفاعلها مع عوامل التمكين

---

33 زكريا إبراهيم : مشكلة الحياة ، سلسلة مشكلات فلسفية 7 ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة 1971.

ص183-198. مصطفى حجازي : إطلاق طاقات الحياة ، قراءات في علم النفس الإيجابي .ص280

34 ليزا بورتولوتي وآخرون : الفلسفة والسعادة ، ص28 - 31

35 فيليب فان دان بوش : السعادة في الفلسفة ، ص416

36 فيليب فان دان بوش : السعادة في الفلسفة ، ص420

37 مصطفى حجازي : إطلاق طاقات الحياة ، قراءات في علم النفس الإيجابي . ص281-282 و 291

38 مصطفى حجازي : إطلاق طاقات الحياة ، قراءات في علم النفس الإيجابي . ص292

الثمانية: الثقة، والسلامة والأمن، والتكلفة الميسورة، والتسامح والإدماج، والصحة والتوازن في الحياة، والمغزى والانتماء، والاقتصاد والمهارات، والسلوك الاجتماعي<sup>39</sup>.

وتعتبر هذه التقارير أن الدول التي تتمتع بالسعادة و بأعلى مستويات جودة الحياة هي تلك الدول الأقرب لتحقيق الأهداف الـ17 للتنمية المستدامة<sup>40</sup>، وهي تلك الدول التي تتسم بأعلى مستويات رأس المال الاجتماعي، وأكثر الاقتصادات شمولاً وإنصافاً، والسياسات التي تحمي وتعزز البيئة الطبيعية بشكل فعال.

وتعريفات السعادة تختلف من مجتمع لآخر، ومن زمن لآخر، فالسعادة كمصطلح يتسم بالبساطة والعمق في نفس الوقت، فهي تستخدم لوصف اللحظات العابرة، كما تستخدم لوصف فترات طويلة من الحياة، وتستخدم كذلك للتعبير عن درجات مختلفة من المشاعر والوجدانيات الايجابية، بالإضافة لوجود كثير من المفاهيم المرتبطة بمفهوم السعادة (Happiness) والتي تخلق أحياناً التباساً وصعوبة في التمييز والفصل بينها، ومن أمثلة تلك المفاهيم: مفهوم الارتياح النفسي (Wellbeing) جودة الحياة (Quality of Life) مفهوم الاستمتاع بالحياة (Enjoying life) مفهوم الهناء (Felicities) مفهوم الرضا عن الحياة (Life satisfaction).

والإشكال يتمثل في ذوبان الحدود الفاصلة بين المفاهيم المرتبطة بالسعادة، بشكل يزيد من صعوبة الفصل بين هذه المفاهيم، ويضعنا أمام موقف إشكالي، فإما أن هذه

---

39 جون إف. هيليويل: التقرير العالمي لسياسات السعادة 2019 . المجلس العالمي للسعادة . الفصل الثاني : كيف يمكن فتح أبواب السعادة . ص15

40 تبنت جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة في عام 2015 أهداف التنمية المستدامة (SDGs) ، والتي تُعرف أيضاً باسم الأهداف العالمية ، باعتبارها دعوة عالمية للعمل على إنهاء الفقر وحماية الكوكب وضمان تمتع جميع الناس بالسلام والازدهار بحلول عام 2030. وقد دُكرت هذه الأهداف في الفقرة 54 من قرار الأمم المتحدة A/RES/70/1 المؤرخ في 25 سبتمبر 2015 ، وفي 1 يناير 2016 أدرجت أهداف التنمية المستدامة الـ 17 في خطة التنمية المستدامة لعام 2030. وهناك 169 غايةً للأهداف السبعة عشر. كل هدف له 1-3 من المؤشرات المستخدمة لقياس التقدم المحرز نحو بلوغ الأهداف. وإجمالاً، هناك 304 مؤشر لقياس الامتثال وتغطي هذه الأهداف مجموعة واسعة من قضايا التنمية الاجتماعية والاقتصادية (الفقر - الجوع - الصحة - التعليم - تغير المناخ - المساواة بين الجنسين - المياه - الصرف الصحي - الطاقة - البيئة - العدالة الاجتماعية).

المفاهيم تعبر عن معنى واحد وتتسم بالتوافق الدلالي، وأنها تستخدم على ذلك النمط التبادلي حتى في الأوساط الأكاديمية، أو أن هذه المفاهيم ظهرت في الأصل للتعبير عن معاني مختلفة تماماً، واستخدمها بشكل تبادلي يمكن توصيفه بالخطأ، ومجانبة الدقة والصواب. ولهذا لا توجد (وصفات) جاهزة للسعادة صالحة للجميع .

ومن ثم كانت السعادة من أعقد الإشكاليات الفلسفية غموضاً والتباساً، والسبب أن خصائصها عسية على الضبط لغلبة الذاتية والنسبية عليها. وحيث إنها تتضمن شيئاً من قوانين الحياة ومن الفعالية الإنسانية التي تؤثر فيها بقوة ، أصبحت ميداناً خصباً للتأمل الفلسفي ، وتدخل العلم الحديث بمعطياته ليفتح آفاق هذا التأمل ويدعم مسالكه<sup>41</sup> .

وإذا كان الاستمتاع بالحياة يجعل الفرد أكثر سعادة وتسامحاً وتصالحاً مع ذاته والآخرين من حوله، فإن الذات تعيش هنا بلا شك لحظة إشراقة لتفتح فيها الذات على الآخر وتتسامح معه عن كل ما يجعلها أكثر تنغيصاً، واكتئاباً وألماً وحرزناً؛ إنها أيضاً لحظة صفاء النفس وأريحيتها، ونقائها وتساميها، وعلوها وسموها وتغلبها على نقائصها، وتحديها لحالات عجزها وانكسارها؛ إنها الإيجابية الخلاقة بلا شك في أوسع وأكمل معانيها؛ إنها تلك اللحظة التي يكون فيها الفرد أكثر رضا عن أدائه في الحياة وفي حكمه عليها إذا كان مستمتعاً بها من عدمه؛ ذلك لأن التسامح يعكس التحكم في النفس ومواجهة الأمر الذي يختلف فيه مع الآخر لمواجهة التهديدات موضوعات الخلاف، عندئذ يدرك الفرد أن التهديد قد يؤذي النفس ويطمس ملامحها ويعظم من مستويات الغرور والتكبر والغلظة لديها، فيترك ذلك جانباً ويتجه نحو التسامح الذي يعزز مستويات الصفح والعفو لدى الذات فيجعلها تنأى عن كل ما يجعلها كدرة.

يقول هنري لنك : (والحقيقة أن صفتي الانطواء والانبساط واقعتان تحت سيطرة المرء بلا شك ، إذ إن الإنسان يملك القدرة في أن يكون غير ذلك ، ويعني هذا أن سعادة الأفراد

---

41 نيكولاس وايت : السعادة ، موجز تاريخي ، ص 52 - 56

ومدى نجاحهم في المستقبل يتوقف على الكيفية التي يواجهون بها الصعاب، وكذلك الطريقة التي يتبعونها للتسامي على مر الزمان)<sup>42</sup>.

### السعادة من المنظور الإسلامي

و يمكن أن نستخلص من التعاريف المتعددة مفهوما واضحا للسعادة : وهو أنها شعور داخلي في أعماق النفس يشعر به الإنسان ، وتجربة ذاتية خاصة ، تميز كل فرد حسب شخصيته وبنيته النفسية ، ومرحلة عمره ، وموروثاته البيولوجية ، وبيئته وثقافته، وعادات بلده وتقاليدده الاجتماعية ، ومحيطه الأسري والعائلي ، وعلاقات الجوار والصدقات، وميدان العمل ، وظروفه الاقتصادية ووضعيته الاجتماعية ومركزه ، والنظام السياسي لبلده ، وحالته النفسية والصحية والعقلية ، ومستوى تدينه وتكوينه المعرفي، و مرجعيته الدينية والفكرية التي تحدد رؤيته للحياة. هذا الشعور ينتج عنه الإحساس بالسرور والفرح ، والانشرح والغبطة وسعة الصدر، و الأمن والطمأنينة، والأريحية والسكينة ، والبهجة والهناء ، والراحة وصلاح البال، والرضا عن النفس ، وخيرية الذات و الحياة و المصير .

والرضا هو تجسيد للسعادة الدنيوية التي ينعم بها الإنسان المؤمن في حياته الدنيا ، فإذا ما وعى وأدرك المؤمن قيمة نعمة واحدة فقط من هذه النعم ، فإن هذا الإدراك سيغمر قلبه بالرضا ، وعلى سبيل المثال فإن علينا أن ندرك نعمة العافية والسلامة التي في أبداننا ونفوسنا ، والنعمة هذه ليست في الحقيقة نعمة واحدة بل هي مجموعة عظيمة من النعم تتأطر في نعمة واحدة نسميها (نعمة العافية) ، وأما وسيلة التقرب بنعمة العافية إلى الله فتتمثل في شكرها العملي بالإضافة إلى الشكر النظري بالقلب واللسان.

يقول بديع الزمان النورسي: (اعلم أن كل ما أنعم الله به على الإنسان ، له شرائط ومفاتيح بعضها آفاقي وبعضها أنفسي. مثلا : إن الله أنعم بالضياء والهواء والغذاء والصدى، وعلق الاستقادة منها على فتح العين والأنف والفم والسمع وهكذا.. مع أن هذه الفتوح الأنفسية من كسبنا، فلا يتحصل إلا بخلقه وإيجاده تعالى. فلا تتخيلن أيها الغافل هذه النعم

سدى مهمة تسيم فيها كيف تشاء بلا منة ولا حساب، كلا ! بل تساق إليك بقصد منعها فثأنتم باختيارك ثم تنتشر على مظان حاجاتك بإرادة محسنها عم نواله<sup>43</sup>.

والعبرة والاتعاظ هما أيضا مصدر من المصادر التي تبعث الرضا والقناعة في قلب الإنسان ، ويتجسدان من خلال وسائلهما العديدة منها زيارة ذوي النقص والخلل في عافيتهم ، أو ذوي العوز والفقر وإعانتهم ، وزيارة أهل القبور الذين ذكرت الأحاديث بشأنهم إنهم يمرون بمرحلة عصبية في برزخهم بحيث إنهم يتمنون لو يرجعون إلى الحياة الدنيا ولو ليوم واحد ، فالاعتبار بهؤلاء يشد الإنسان إلى التقوى ويعزز إيمانه، وبذلك يتقرب إلى الله سبحانه.

وإلى جانب النعمة الكبرى المتمثلة في العافية هناك نعمة الأمن ، فليُنظر الإنسان إلى عظمة هذه النعمة التي يحياها في الوقت الذي يعاني فيه إخوانه من أسباب الهلاك والدمار ، ويتجرعون الموت الزؤام في مختلف بقاع الأرض أفلا ينبغي بعد ذلك أن نتقرب إلى ربنا عز وجل من خلال شكر هذه النعمة العظيمة عمليا ونظريا ؟.

وفي الحديث يروي سلمةُ بنُ عبِيدِ اللهِ بنِ مِحْصِنِ الخَطْمِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ - وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا )<sup>44</sup>.

وقال الإمام عبد الرؤوف المناوي: (يعني : من جمع الله له بين عافية بدنه ، وأمن قلبه حيث توجه ، وكفاف عيشه بقوت يومه ، وسلامة أهله ، فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها ، فينبغي أن لا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها ، بأن يصرفها في طاعة المنعم ، لا في معصية ، ولا يفتر عن ذكره .

قال نفطويه<sup>45</sup>:

---

43 بديع الزمان سعيد النورسي : كليات رسائل النور (6)، المثنوي العربي النوري ، ص 193-194  
44 رواه البخاري في "الأدب المفرد" (رقم/300) والترمذي في "السنن" (2346) وقال : حسن غريب. الضياء المقدسي : صحاح الأحاديث فيما اتفق عليه أهل الحديث . 42/8 . البيهقي : شعب الإيمان(10358) 293/7، وابن عبد البر : بهجة المجالس . 117/1 . وقال الشيخ الألباني بعد تخريجه الحديث عن جماعة من الصحابة : ( وبالجملة ، فالحديث حسن إن شاء الله بمجموع حديثي الأنصاري وابن عمر . و الله أعلم) . السلسلة الصحيحة (رقم/2318)  
45 عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 1972 . 88/6

إذا ما كساك الدهر ثوب مصحّة \* \* ولم يخل من قوت يحلّي ويعذب

فلا تغبطن المترفين فإنه \* \* على حسب ما يعطيهم الدهر يسلب

وبشكل عام فإن الباعث على الرضا والقناعة هو النظر إلى الأدنى حالا وعلى جميع الأصدقاء ، وعلى العكس من ذلك فإن النظر إلى من هو أفضل وأرقى حالا سيؤدي إلى التخلق بالأخلاق السلبية والتطبع بالأطباع التي تتنافى مع الإيمان وتمتت روح التقوى ، ومن ذلك أن الإنسان يصبح أنانيا فضا غارقا في طمعه ، لا يشبع ولا يشكر هذا إذا لم يؤد به هذا السلوك المنحرف إلى المعصية وارتكاب المحرمات والموبقات.

إِنَّ السَّعَادَةَ مَطْلَبُ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَرَغْبَةُ كُلِّ عَاقِلٍ، وَقَدْ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِينَ بِالْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (النحل : 97). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ هِيَ السَّعَادَةُ... وَتَشْمَلُ وُجُوهَ الرَّاحَةِ مِنْ أَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ)<sup>46</sup>.

وَأَهْمُ هَذِهِ الْوُجُوهِ وَأَوْلَاهَا، وَأَكْرَمُهَا وَأَعْظَمُهَا؛ سَعَادَةُ الْقَلْبِ وَنَعِيمُهُ، وَبَهْجَتُهُ وَسُرُورُهُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَحَبَّتِهِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ وَطَاعَتِهِ، فَإِنَّهُ لَا حَيَاةَ أَطْيَبَ مِنْ حَيَاةِ صَاحِبِ الْقَلْبِ الطَّائِعِ، وَلَا نَعِيمَ فَوْقَ نَعِيمِهِ، إِلَّا نَعِيمُ الْجَنَّةِ، قَالَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ: (إِنَّهُ لَتَمُرُّ بِي أَوْقَاتٌ أَقُولُ فِيهَا إِنْ كَانَ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي مِثْلِ هَذَا إِنَّهُمْ لَفِي عَيْشٍ طَيِّبٍ، وَذَلِكَ لِمَا يُدْرِكُ الطَّائِعُونَ مِنْ سُرُورِ الْقَلْبِ، وَفَرَحَتِهِ وَابْتِهَاجِهِ، وَنُورِهِ وَأَنْشِرَاحِهِ)<sup>47</sup>

وَإِذَا سَعِدَ الْقَلْبُ طَابَتْ حَيَاةُ الْجَوَارِحِ كُلِّهَا، فَمَنْ أَكْثَرَ مِنَ الصَّالِحَاتِ، وَاسْتَزَادَ مِنَ الْحَسَنَاتِ؛ نَالَ السَّعَادَةَ فِي الدُّنْيَا، وَالْفُوزَ فِي الْآخِرَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

46 أبو الفداء إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم - تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2-1999. (601/4)

47 فيض القدير شرح الجامع الصغير : (567/1)

الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (الرعد : 30). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (نَالُوا فَرَحًا وَقُرَّةَ عَيْنٍ)<sup>48</sup>. أَي مَصْدَرَ سَعَادَةٍ.

وَأَمَّا حُسْنُ الْمَآبِ وَالْعَاقِبَةِ؛ فَهُوَ فِي جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ، فَيَسْعُدُونَ فِي دُنْيَاهُمْ وَأَخْرَجَتْهُمْ. وَذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا يَمْنَحُ الْإِنْسَانَ صَفَاءَ النَّفْسِ، فَيَطِيبُ خَاطِرَهُ، وَتَتَبَدَّدُ مَخَافُهُ، وَيَأْنَسُ بِخَالِقِهِ، وَيَرْضَى بِهِ مَوْلَى وَنَصِيرًا: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد : 29) . أَي: بِطَاعَتِهِ .

يقول الشيخ ابن شاهور الرازي : ( وإن القلب إذا سلم عن الآفات، وأعرض عن الدنيا، وأقبل إلى المولى، وصل بمصقل الذكر عنه كدورات صفات البشرية، تتور بنور الذكر، وهو كلمة: لا إله إلا الله. وهي مركبة من نفي وإثبات. فبنيها تنفي شواغل القلب و ظلماتها.. وبالإثبات تثبت شواهد أنوار المذكور، فينكشف الغطاء عن بصر بصيرة القلب، فيرى بها جمال آيات الحق تعالى.. )<sup>49</sup>.

ويقول العارف بالله ابن عطاء الله السكندري: ( رزق الظاهر بحركات الأجسام ، ورزق الباطن بحركات القلوب ، ورزق الأسرار بالسكون ، ورزق العقول بالفناء عن السكون ، حتى يكون العبد ساكنا لله مع الله ، وليس في الأغذية قوت للأرواح ، وإنما هي غذاء الأشباح ، وقوت الأرواح والقلوب ذكر الله علام الغيوب . فإذا ذكرت الله تعالى ذكر معك كل من يسمعك، لأنك تذكر بلسانك ثم بقلبك ثم بنفسك ثم بروحك ثم بعقلك ثم بسرك ذلك في الذكر الواحد، فإذا ذكرت الله تعالى بلسانك ذكر مع ذكر لسانك الجمادات كلها، وإذا ذكرت بقلبك ذكر مع قلبك الكون ومن فيه من عوالم الله، وإذا ذكرت بنفسك ذكر معك السموات ومن فيها، وإذا ذكرت بروحك ذكر معك الكرسي ومن فيه من عوالمه ، وإذا ذكرت

<sup>48</sup> تفسير ابن كثير : 455/4

<sup>49</sup> نجم الدين أو بكر ابن شاهور الرازي (654هـ) : منارات السائرين ومقامات الطائرين - تحقيق : سعيد عبد الفتاح - دار سعاد الصباح ، الكويت 1993. ص 350

بعقلك ذكر معك حملة العرش ومن طاف به من الملائكة الكروبيين والأرواح المقربين، وإذا ذكرت بسرك ذكر معك العرش بجميع عوالمه إلى أن يتصل الذكر بالذات (50).

قال ابن قيم الجوزية : (الطمأنينة إلى الله سبحانه كيفية ترد منه سبحانه على قلب عبده ، تجمع عليه ، وترد قلبه الشارد إليه ، حتى كأنه جالس بين يديه ، يسمع به ، ويبصر به ، ويتحرك به ، ويبطش به ، فتسري تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة ، فتجذب روحه إلى الله ، ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته والتقرب إليه .. فإن الطمأنينة سكونه واستقراره بزوال القلق والانزعاج والاضطراب عنه ، وهذا لا يتأتى بشيء سوى الله و ذكره البتة ) (51).

وَمِنْ أَهَمِّ مَقْوَمَاتِ سَعَادَةِ الْفَرْدِ وَرَاحَتِهِ، وَسَكِينَةِ فُؤَادِهِ وَطُمَأْنِينَتِهِ؛ الْإِيمَانُ بِالْقَدْرِ، فَهُوَ أَحَدُ أَصُولِ الْإِيمَانِ، وَقَدْ بَيَّنَّهُ الشَّرْعُ أَوْضَحَ بَيَانٍ؛ وَحَقَّقْتُهُ أَنْ يُحْسِنَ الْمُؤْمِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَالتَّيِّدَةِ وَالرَّخَاءِ، فَيَطْمَعُ فِيمَا عِنْدَ اللَّهِ، وَيَرْجُو رَحْمَتَهُ، فَمَنْ ابْتَلِيَ بِشَيْءٍ فَلَا يَمَلُّ وَلَا يَضْجُرُ، بَلْ يَأْخُذُ بِأَسْبَابِ النَّجَاحِ، فَيَجْتَهِدُ وَيَدْعُو، وَيَعْمَلُ وَيَسْعَى، فَإِذَا حَصَلَ غَيْرُ الَّذِي أَرَادَ فَلَا يَحْزَنُ وَلَا يَنْدَمُ، وَلَا يَتَسَخَّطُ عَلَى الْقَدْرِ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللَّهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ) (52).

أي: أنه يفعل الخير، ويحرص على عدم فواته، فإن فاتته أمر من أمور الدنيا؛ فلا يشغل نفسه بالتحسر عليه، لأن ذلك اعتراض على المقادير، ولا يغني شيئاً (53). بل يوقن الإنسان أن الله هياً له الأفضل، قال صلى الله عليه وسلم: (عَجِبْتُ لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْضِ

50 ابن عطاء الله السكندري : مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتح ، تحقيق: محمد عذب ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1993 . ص 11

51 ابن قيم الجوزية : كتاب الروح ، تحقيق : محمد الإصلاحى و كمال قالمي ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامى بجدة (26) دار عالم الفوائد ، جدة . 623/2

52 (مسلم : 2664)

53 فتح الباري لابن حجر : (230/13)

لَهُ قَضَاءٌ إِلَّا كَانَ خَيْرًا لَهُ<sup>54</sup>. وَيَسْتَبْشِرُ الْمَرْءَ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)<sup>55</sup>.

فَمَنْ اِمْتَلَأَ قَلْبُهُ رِضًا بِالْقَدْرِ، فَاصْ قَنَاعَةً وَطُمَأْنِينَةً، وَغِنَى وَأَمْنًا، فَإِنَّ الْقَنَاعَةَ مِنْ أَسْبَابِ السَّعَادَةِ، وَحَقِيقَتُهَا الرِّضَا وَالتَّعَفُّفُ، وَتَرْكُ السُّؤَالِ وَالتَّشَوُّفِ، فَذَلِكَ هُوَ الْغِنَى الْحَقِيقِيُّ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَارِضْ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَى النَّاسِ)<sup>56</sup>.

فَإِنَّ مَنْ قَنَعَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ وَلَمْ يَطْمَعْ فِيهَا فِي أَيْدِي النَّاسِ أَصْبَحَ غَنِيًّا عَنْهُمْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى عَنِ النَّفْسِ)<sup>57</sup>.

وَإِنَّ السَّعَادَةَ عَلَى مُسْتَوَى الْأَسْرِ قِوَامُهَا: طَاعَةُ رَبِّهَا وَاتِّبَاعُ هَدْيِ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَنَاعَتُهَا بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهَا، وَزَوْجُ يَقُودِهَا بِحِكْمَةٍ وَرَوِيَّةٍ، وَتَقْدِيرٌ لِلْمَسْئُولِيَّةِ، يَحُوطُهَا بِأُبُوءٍ رَاعِيَةٍ، وَعَقْلِيَّةٍ وَاعِيَةٍ، وَالزَّوْجَةُ مِحْوَرُ السَّعَادَةِ فِي بَيْتِهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الْوَاسِعُ، وَ الْجَارُ الصَّالِحُ ، وَالْمَرْكَبُ الْهَنِيءُ)<sup>58</sup>.

فَإِذَا كَانَ الزَّوْجَانِ عَلَى وِفَاقٍ تَحَقَّقَتْ بَيْنَهُمَا السَّعَادَةُ ، وَالْمَوَدَّةُ وَالرَّحْمَةُ، وَيَنْعَمُ أَفْرَادُ الْأُسْرَةِ بِالْبَيْتِ الْهَنِيِّ، وَالْحَيَاةِ السَّعِيدَةِ، فَإِذَا سَعِدَتِ الْأُسْرُ سَعِدَ الْمُجْتَمَعُ، فَإِنَّهَا النَّوَاءُ الْأَسَاسِيَّةُ فِي تَكْوِينِ النَّسِيجِ الْمُجْتَمَعِيِّ.

54 صحيح ، رواه أحمد : 12489

55 صحيح ، رواه أحمد : 2803.

56 حسن، رواه الترمذي : 2305.

57 متفق عليه

58 صحيح ، رواه ابن حبان : 4032

فَلْيَسْأَلْ كُلُّ مَنَّا نَفْسَهُ: عَن مَدَى اطمِئنانِ قَلْبِهِ وإِقْبالِهِ عَلى رَبِّهِ تَعَالَى، وَرِضاهُ بِما قَدَرَ سُبْحانَهُ لَهُ، وَقَناعَتِهِ بِما رَزَقَهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَيُّنَ هُوَ مِنْ تَحقيقِ السَّعادَةِ فِي أُسْرَتِهِ، فَتِلْكَ مِنْ مَقَوِّماتِ السَّعادَةِ.

## خاتمة

إن هدف الحياة الدنيا أسمى وأنبى من أن يولد الإنسان وينشأ لمجرد إشباع بطنه وفرجه ، بل الهدف هو التزود ب زاد الآخرة من خلال العبادة الخالصة والعمل الصالح ؛ فالإنسان إنما جاء إلى الحياة الدنيا لكي يزرع فيها ما سيحصده غدا في آخرته ، وإلا فإن الأطماع بكل أشكالها إنما هي في الغد هباء منثورا ، فليسع الإنسان في دنياه بما يقدمه من عمل صالح يبتغي به مرضاة ربه والقربة إليه ، وإلا فإن الندم سوف لاينفع في الغد ، فغدا سيعلم الجميع أن كل ساعة في الدنيا تعدل عشرات الملايين من ساعات الآخرة ، لان ساعة الدنيا قد تضمن لصاحبها من خلال إنفاقها، في العمل الصالح سعادة آلاف السنين في الآخرة ، وفي نفس الوقت قد تدخله في النار لدهور عديدة إذا ما ارتكب الإنسان فيها معصية كبيرة . ومن ذلك كله نستنتج أن المسافة التي تفصلنا عن ربنا إنما هي مصطنعة ، فبإمكاننا اختصارها وربما إزالتها بالاجتهاد في الصالحات ، وبإمكاننا أيضا توسيعها وتحويلها إلى هوة سحيقة ، وحجاب معتم سميك يبعدنا عن ربنا الكريم ، ونفحات رحمته ولطفه ورأفته.

والحياة المقطوعة الصلة بالله ورحمته الواسعة، ضنك مهما يكن فيها من سعة ومتاع. إنه ضنك الانقطاع عن الاتصال بالله والاطمئنان إلى حماه. ضنك الحيرة والقلق والشك. ضنك الحرص والحذر: الحرص على ما في اليد والحذر من الفوت. ضنك الجري وراء بارق المطامع والحسرة على كل ما يفوت. وما يشعر القلب بطمأنينة الاستقرار إلا في رحاب الله. وما يحس راحة الثقة إلا وهو مستمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها.. إن طمأنينة الإيمان تضاعف الحياة طولا وعرضا وعمقا وسعة، والحرمان منه شقوة لا تعدلها شقوة الفقر والحرمان<sup>59</sup>.

قال الشاعر<sup>60</sup>:

**وداؤ ضمير القلب بالبر والتقى \* \* ولا يستوي قلبان قاس وخاشع**

قال الأديب المصري مصطفى لطفى المنفلوطي: (حسبك من السعادة في الدنيا ضمير نقي ، ونفس هادئة ، قلب شريف ، وأن تعمل بيدك فترى بعينك ثمرات أعمالك تنمو بين يديك وتترعرع فتغتبط بمرآها، اغتباط الزارع بمنظر الخضرة والنماء في الأرض التي فلحها بيده ، وتعهدها بنفسه وسقاها من عرق جبينه)<sup>61</sup>.

الإيمان هو السياج الذي يحمى الإنسان من القلق والضياع. وهو الذي يدفعه إلى عمل الخير وتحقيق السلام والطمأنينة مع النفس ومع الناس، ومع جميع الكائنات.

قال الشاعر العربي الحطيئة<sup>62</sup>:

**وَأَسْتُ أَرَى السَّعَادَةَ جَمَعَ مَالٍ \* \* وَلَكِنَّ التَّقِيَّ هُوَ السَّعِيدُ**

**تَقْوَى اللَّهِ خَيْرُ الزَّادِ دُخْرًا \* \* وَعِنْدَ اللَّهِ لِلتَّقِيِّ مَزِيدٌ**

**وَمَا لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ قَرِيبٌ \* \* وَلَكِنَّ الَّذِي يَمْضِي بَعِيدٌ**

60 أبو حاتم محمد بن حبان البستي : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، 97

61 عبد المحسن المطلق : الحياة الطيبة أو (قاموس السعادة) ، مكتبة التوبة ، الرياض 1429 هـ . ص 23

62 الحطيئة : ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت ، جمع : مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت،

1993 . ص 79

## المصادر والمراجع

- ابن عطاء الله السكندري : مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح في ذكر الله الكريم الفتح ، تحقيق: محمد عزب ، مكتبة مدبولي، القاهرة ، 1993 .
- ابن قيم الجوزية : كتاب الروح ، تحقيق : محمد الإصلاحي و كمال قالمي ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي بجدة (26) دار عالم الفوائد ، جدة .
- أبو الفداء إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم - تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2-1999. (601/4)
- أبو القاسم الشابي : الديوان ، تقديم وشرح : أحمد حسن بسج .دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط4 ، 2005 .
- أبو حاتم محمد بن حبان البستي (354هـ) : روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، مكتبة السنة المحمدية، مصر .
- أبو حامد الغزالي : إحياء علوم الدين، دار الخير، بيروت، 1990م .
- أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (421هـ) : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، تحقيق: ابن الخطيب ، مكتبة الثقافة الدينية .
- أبو محمد علي بن حزم (456هـ): الأخلاق والسير، أو رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل ، ضمن رسائل ابن حزم ، تحقيق : إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط2 ، 1987 .
- أحمد علي الحاج : العولمة والتربية (آفاق مستقبلية)" كتاب الأمة" 145، إدارة البحوث والدراسات في وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر،، رمضان 1432هـ/ يوليو 2011.
- بديع الزمان سعيد النورسي : كليات رسائل النور (6)، المثنوي العربي النوري ، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي ، دار سوزلر للنشر ، القاهرة 2004.
- جاكين روس : مغامرة الفكر الأوربي ، قصة الأفكار الغربية ، ترجمة : أمل ديبو ، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة) أبو ظبي 2011.

- الحطيئة : ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت ، جمع : مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1993 .
- ريتشارد تمبلر : قواعد الحياة (الوصفة السحرية لحياة أفضل وأكثر سعادة وأكثر نجاحا)، ترجمة ونشر : مكتبة جرير. ط6، الرياض 2011 .
- زكريا إبراهيم : مشكلة الحياة ، سلسلة مشكلات فلسفية 7 ، مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة 1971.
- سيد صديق عبد الفتاح : الجمال كما يراه الفلاسفة والأدباء - دار الهدى ، مؤسسة الأهرام ، القاهرة ، 1998 .
- سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشروق، القاهرة 2004 .
- عبد الرحمن بن الجوزي : ذم الهوى، تحقيق : خالد العلمي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1998 .
- عبد الرؤوف المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير ، دار المعرفة ، بيروت ، ط2 ، 1972 .
- عبد المحسن المطلق : الحياة الطيبة أو (قاموس السعادة) ، مكتبة التوبة ، الرياض 1429 هـ .
- فريدريك لئونوار: في السعادة ، رحلة فلسفية ، ترجمة : خلدون النبواتي ، دار التنوير، تونس 2016 .
- فيليب فان دان بوسش : السعادة في الفلسفة ، بحث ضمن كتاب جماعي بإشراف جلن فرانسوا دورتيي : فلسفات عصرنا ، تياراتها ، مذاهبها ، أعلامها ، وقضاياها. ترجمة : إبراهيم صحراوي ، الدار العربية للعلوم ناشرون / بيروت، منشورات الاختلاف/ الجزائر ، 2009 .
- مصطفى حجازي : إطلاق طاقات الحياة ، قراءات في علم النفس الإيجابي ، دار التنوير ، بيروت 2012..
- نازك الملائكة : الأعمال الكاملة (ديوان نازك الملائكة) دار العودة ، بيروت ، 1997.

- نانسي هيوستن : أساتذة اليأس ، النزعة العدمية في الأدب الأوروبي - ترجمة : وليد السويركي - مراجعة أحمد خريس - هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة) - ط1 ، 2012 .
- نجم الدين أو بكر ابن شاهور الرازي (654هـ) : منارات السائرين ومقامات الطائرين - تحقيق : سعيد عبد الفتاح - دار سعاد الصباح ، الكويت 1993 .
- نويل، برنار. الموجز في الإهانة. ترجمة محمد بنيس. دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ط1، 2017 .
- نيكولاس وايت : السعادة ، موجز تاريخي ، ترجمة : سعيد توفيق، سلسلة عالم المعرفة 405، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أكتوبر 2013 .
- هانس بيتر مارتن و هارالد شومان : فخ العولمة (الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية) ترجمة : عدنان عباس علي ، سلسلة عالم المعرفة 238، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، أبريل 1998 .
- ويل باكنغهام : فكر في حياتك بعمق وانطلق نحو السعادة ، دليلك العملي لتحقيق السعادة . ترجمة : ديوان آرابيا ، قنديل للطباعة والنشر ، الإمارات العربية المتحدة 2019 . ليزا بورتولوتي وآخرون : الفلسفة والسعادة ، ترجمة : أحمد الأنصاري ، المركز القومي للترجمة (العدد 2024) ، القاهرة 2013 .
- أبحاث مجلة الاغتراب ، محور (جناية التقنية ، الحكاية الكبرى لعالم بلا روح) المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ، بيروت . العدد 15 ، السنة الرابعة 1440هـ / ربيع 2019 .
- التقرير العالمي لسياسات السعادة 2018 و 2019 . المجلس العالمي للسعادة .
- Alain Badiou : Métaphysique du Bonheur Réel, Paris, P.U.F, 2015.